تفريغ الطالبات لحلقات الدكتورة أم تميم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ...

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}

إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ما زال الحديث متواصل في موضوع القدر وكنا قد تناولنا بعض الشُبهات التي تُلقى عندما يُذكر القدر وأوضحنا كيفية الرد عليها ،أما موضوعنا اليوم فهو:

الإيمان بالقدر سبيل إلى هداية القلب

قال تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١)} [التغابن]

هذا يعني:أن من يؤمن بالقدر فإن الله سبحانه وتعالى يهدي قلبه هداية القلب تأتي من: الإيمان بقضاء الله والصبر عليه

أي أن:

الرضا بالقضاء والصبر عند البلاء يؤديان إلى هداية القلب وبغير هذين الأمرين لن يهتدي القلب مطلقًا وسيظل في حالة من الاضطراب والقلق:

١ – بالعلم يتأتى الرضا بالقضاء،فالعلم بأن الله سبحانه وتعالى قد قدر كل شيء قبل خمسين ألف سنة من خلق السموات والأرض وهذا التقدير مكتوب في اللوح المحفوظ إذًا الإيمان بمراتب القدر الأربعة ينتُج عنه الرضا،فيرضى العبد بما قُدر عليه سواء (قدر كوني _ قدر شرعي) نحن نحتاج إلى الرضا ونحتاج إلى الصبر عند البلاء.

۞أما الصبر عند البلاء فإنه ينشأ من عدة أمور:

١ – معرفة أن في الصبر على البلاء تكفير للسيئات ومحوٍ لها يصبر العبد على البلاء واشتداده إذا ما عرف أن في هذا الصبر تكفير للسيئات ومحوٍ لها فيهدأ القلب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

" مَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ "

سنن الترمذي(٢٣٩٩)،صحيح ابن حبان (٢٩٢٤)المستدرك على الصحيحين للحاكم (٧٨٧٩) [قال الألباني]: حسن صحيح.

كلام النبيﷺ، نور: إذا اشتد البلاء على العبد (أمراض _شقاء_فقد عزيز_أي نوع من الابتلاءات) فيلقى الله وما عليه خطيئة، ومن ضمن الابتلاءات الولد،فالولد شقاء وتعب إن لم يكن على الطريق فإذا ما كان كلٍ من الأم والأب ملتزمين وقطعوا خطوات على الطريق فإن الأولاد يُعدوا ابتلاء شديد إذا لم يكونوا ملتزمين.

ولذلك فإن الخضر عندما أراد أن يوضح لموسى عليه السلام سبب قتله للغلام قال:

{ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١)} [الكهف]

المؤمن عندما يرزق بولد غير صالح يكون سبب في إجهاده وإرهاقه إرهاق شديد لأن المخالفة هي أكثر شيء يُجهد الإنسان،الزوج أو الابن أوالابنة،أكثر أمر يكون فيه شدة وابتلاء على العبد أن يعيش مع شخص مخالف له لأن هذا الأمر فيه من الضغوط النفسية المؤلمة التي لا يعلمها إلا رب العالمين.

عندما يرى الأب والأم أبنائهم غير صالحين أو لا يسيرون على الطريق فإنهم يتألمون ألم غير عادي ،ولكن هذا الألم يكون تكفير ومحو للذنوب حتى يصل بهم الأجر إلى درجة السير إلى الله وما على أحدهم من خطيئة.

وانظرن إلى العباد وكل ما يقترفونه من ذنوب آناء الليل وأطراف النهار، والإشكالية الكبيرة:التي لا يشعر بها المسلمون أنهم لا يتوقف بهم الأمر عند اقتراف الذنب و لكنهم لا يشعرون أنهم يذنبون نتيجة عدم معرفة أن هذا يُعَدْ من الذنوب.

ونزول البلاء على العبد الصالح أو المسلم فيُكفر عنه هذه السيئات العظيمة التي قد يعلمها وقد لا يعلمها...عطاء الله رحمة ومنعه حكمة وكلاهما بتقدير عزيزٌ عليم.

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

" إِنَّ اللهَ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا،وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ تَخَافُونَهُ عَلَيْهِ "

مسند أحمد (٢٣٦٢٢) .

إن الله عز وجل يحمي عبده من الدنيا،ومن يرى أنه مبتلى في الدنيا بشيء معين حُرم منه أو أن الدنيا لم ترُق له كما كان يريد فلم يأخذ حظه منها (مال_جمال_أولاد_زواج) ولذلك فهو حزين ومُكتئب،هذا العبد لم يفهم هذه المعاني.

وكم من إنسان كانت حياته بسيطة فلما فُتحت عليه الدنيا اشتدَّ عليه البلاء،أخت كانت حالتها المادية مُتعسرة وكان زوجها يعمل بأجر لا يكفيهم،ثم أراد الله سبحانه أن يُبدل حالهما ففُتحت عليهما الدنيا وتيسر لهما الحال فماذا فعل الزوج ؟

طلق الزوجة وتزوج غيرها ثم أعقب ذلك تعاطيه للمخدرات،فكانت الأخت مبتلاة في جانب واحد فلما فُتحت عليها الدنيا جاءتها الابتلاءات متتالية ،الله سبحانه يعلم ما يُصْلِح العباد وما يُفسدهم.

يقول النبي ﷺ :

" إِنَّ اللهَ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا"

أي أن العبد الذي ينقصه شيء من أمور الدنيا عليه أن يحمد الله لأنه يحميه منها" كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ تَخَافُونَهُ عَلَيْهِ".

الأم إذا كان عندها طفل مريض بمرض السكري ما تفعل حياله إذا أراد تناول شيء من الحلوى تقوم بمنعه رغم أنها تتحسر لمنعه منها ولكنها تخاف عليه من نتيجة تناوله لهذه الحلوى،وإذا نظرنا لمن أتتهم الدنياو فتحت أبوابها لهم لرأينا أن الشهوات استزلتهم وأغرقتهم في بحارها التي لا ساحل لها،فيحمي الله عبده بصور متعددة فقد يكون بقلة (المال _ الأولاد_تأخير زواج _صور كثيرة)ولكن على العبد المؤمن أن يعلم أنه ما أعطي إلا برحمة وما منع إلا لحكمة وهذا المنع قُدر بتقدير العزيز العليم رؤية معاني الأمور تكون بعين البصيرة لا بعين الحال.

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ،أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟

قَالَ ﷺ: "الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ".

سنن الترمذي (٢٣٩٨) مسند أحمد (١٤٩٤)[حكم الألباني] :

حسن صحيح.

بعض الناس يكون لديه انتكاس وانعكاس في الفكر وعدم فهم لمعاني الأمور ومقتضيات الحكمة فيرون أن إتيان الدنيا لهم وفتحها أبوابها أمامهم رغم ما هم عليه من معاصي،وفي المقابل يرون أن الملتزم الذي يسير على طريق الحق مبتلى فيعتقدون أنهم أفضل حالًا من هذا الذي تتنزل عليه الابتلاءات يومًا بعد يوم.

هؤلاء ما فهموا حديث النبي "أشد الناس بلاءً ".

ومعنى الحديث أن العبد كلما ارتقى وكانت له درجة عالية عند ربه كلما كان ابتلائه أشد ممن هو أقل منه في الدرجة وهذا يقينًا لأن هذا هو كلام النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، فالأنبياء هم أشد الناس بلاءً ثم الأمثل فيكون ابتلائهم أقل.

فيبتلى العبد على قدر دينه:

فإن كان في دينه قوة وشدة فسيبتلى على قدرها.

أما إذا كان في دينه رقه فإن الله سبحانه لن يبتليه ابتلاء شديد لماذا؟

لأنه هو اللطيف ولو ابتلى عبده حال ضعفه ابتلاء شديد فسيسقط في الاختبار ولكنه يبتليه على قدر ضعفه،ولذلك فإننا نرى أن حياة الدُعاة والعلماء مليئة بالابتلاءات التي لا يستطيع أن يُحصيها أحد عادي فضلًا عن أن يتحملها،لأن قوة دينهم تجعل في استطاعتهم تحمل ذلك.

أما اعتقاد مُنتكسي الفطرة هؤلاء أنهم أفضل من الملتزمين معناه أن الكفار في بلاد الغرب هم أفضل الناس لأن حياتهم لا ينقصها شيء من نعيم الدنيا فهل هذا محبة من الله لهم ؟

إطلاقًا وبالتالي فلابد لنا من الفهم عن الله سبحانه وتعالى.

وفي رواية " عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ،فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللِّحَافِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ قَالَ ﷺ: "إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ،وَ يُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: "الْأَنْبِيَاءُ" ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ،حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يَحُوبُهَا، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ،كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ"

سنن ابن ماجة (٤٠٢٤) [قال الألباني]: صحيح

هؤلاء كانوا يفرحون بالبلاء كما يفرح غيرهم بالرخاء نظرًا لما يعرفونه من قدر البلاء فكم يُكفِّر من الذنوب؟وكيف يُنقي من الخطايا؟كيف يُقرب من رب العالمين؟

وكم يرفع من درجات،عرفوا وتيقنوا من موعود رب العالمين ووثقوا في كلام النبي ﷺ فإذا ما نزل البلاء علموا قدره وعرفوا أن فيه التمحيص والترقية والعلو.

وتقوية الإيمان:ويكون ذلك بالصبر والرضا والتودد والتذلل إلى الله سبحانه وتعالى والقُرب من الله وبالتالي فإن الإيمان يزيد مع البلاء ،كلما زاد البلاء كلما زاد الإيمان.

شرط أن يتلقاه العبد بصدر مُنشرح فلا ضجر ولا هلع ويعلم أنه من عند الله سبحانه وتعالى.

٢- الصبر على البلاء يكون بمعرفة وشهود جزاء البلاء وثوابه.

قال تعالى: { قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ(١٠) } [الزمر]

يعني ذلك:

أن البلاء عندما ينزل بقدر الله سبحانه على العبد وهو يعلم أنه مقدر فإنه يُوفى أجره يوم القيامة بغير حساب نتيجة لصبره.

مراتب الصبر :

١-الصبر على أقدار الله عز وجل بما سبق أن أوردناه.

٢-الصبر على أداء الطاعة كما يحب الله ويرضى.

٣-الصبر عن معصية الله.

تلك هي مراتب الصبر ولو أن العبد حمل نفسه على هذه المراتب....

فيصبر عند الابتلاء،ويؤدي حق الله سبحانه وتعالى في الطاعة،ويصبر عن المعاصي والشهوات خاصةً في زمن الفتن الذي نعيش فيه والذي لا تُسلط علينا فيه الشهوات فقط بل تسلطت علينا الشُبهات أيضًافأصبح العبد بين شقي الرَّحى (شهوات _شُبهات)شهوات من كل ناحية حدث ولا حرج، وشُبهات متنوعة ما بين (تشكيك في الأحاديث _من يكفر المسلمين _ومن يُبدعهم _والكل يدعي أن منهجه هو الصحيح وما دونه هو الباطل)ولا يستطيع العوام أن يُميزون لعدم وجود العلم،وبالتالي فإن العبد يحتاج إلى الصبر بكل مراتبه.

قال أهل التفسير في قوله تعالى:

{ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}

أي : لا يستطيع أحد أن يُحصي جزاء هذا الصابر.

لأن الحق تبارك وتعالى يقول:

{بِغَيْرِ حِسَابٍ}،وإخفاء الجزاء دليل على عظمه

قال تعالى في الحديث القدسي :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

"كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ،فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ،وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ"

أخرجه البخاري (٥٩٢٧)أخرجه مسلم (١١٥١)

فكثيرٌ من الأعمال حُدد لها الجزاء ولكن بعض الأعمال أخفى الله عز وجل أجرها وما كان ذلك إلا لعِظمه فإذا ما كان العظيم الجليل الكريم المنان الواسع العليم.

يقول:{بِغَيْرِ حِسَابٍ} فكيف يتسنى لنا معرفة مقدار هذا الجزاء؟

ولكن كل ما علينا هو أن نصبر عند أي بلاء بصدرٍ مُنشرح ،والصبر على الطاعة ونحن سُعداء بها ،ونصبر عن المعصية ونستشعر أننا نحن الأعلى والأفضل.

قال تعالى :

{ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩)}

[آل عمران]

فالإيمان يدفع صاحبه إلى عدم الحزن عند تركه للمعصية ولا عند رؤية أهل المعاصي وهم يلهون في دنياهم ،ولكن ينظر إلى نفسه التي يزيدها عزًا وعلوًا وارتقاءً وسعادةً لأنه يسير بها على منهاج النبوة وطريق الحق ويشعُر بعز الطاعة وتوفيق الله له وأنه أكرمه واصطفاه واجتباه في حين أن غيره تركه في بحر الشهوات والشبهات،وينظر إلى العاصي و يُشفق عليه من المصير الذي ينتظره إذا لقي ربه وهو قائم على معاصيه ويدعو له بظهر الغيب أن يشرح الله صدره ويشرح صدر كل مُبتلٍ بالمعاصي..

أرباب العزائم وأولو البصائر ينظرون دائمًا للمآل لا للحال...أصحاب العزيمة القوية ونور البصيرة الذين اصطفاهم الله دومًا ينظرون للمآل لا للحال،ليس المهم الآن بل المهم هو المصير.

أصحاب المعاصي الذين يتفنون في ارتكاب المعاصي (خمور_زنا_ربا _ظلم_أكل حقوق العباد) فليفعلوا كل مايحلو لهم اليوم ولكن غدًا كيف سيكون الحال في قبره؟!

وقبل يوم القيامة،أصحاب البصيرة إذا نظروا إلى مآلاتهم ومآلات أصحاب المعاصي فإن النفوس ستسكن وتهدأ وترضى بقضاء الله حُلوه ومُرْه لأنه من عند الله ولابد من العلم بهذه الأمور حتى يستطيع الإنسان أن يُواصل السير على الطريق إلى ربه فلا يتعسر أثناء سيره بهذا النوع من العوائق.

قصة ابتلاء نبي الله أيوب عليه السلام:

هذا النبي عليه السلام الذي ابتلي بأنواع البلاء المختلفة

(المرض _ المال _ فقد الولد).

وظل في مرضه سنوات وسنوات لا يستطيع أن يفعل شيء إلى أن قال الناس: لابد أنه فعل شيء فأنزل الله عليه هذا العقاب ،عند هذه اللحظة فقط دعا الله عز وجل فقال :

{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣)}

[الأنبياء]

انظرن: بعد كل هذا البلاء يتحدث إلى ربه ومولاه بأدب الأنبياء فيقول {مَسَّنِيَ الضُّرُّ} فهو لا يرى أنه ابتلي ولكنه مُجرد مس رغم فقده للمال والصحة والولد وكل شيء،ولذلك فقد أثنى عليه الحق تبارك وتعالى

فقال :

{وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)} [ص]

ملك الملوك يثني على عبده ونبيه في الملأ الأعلى لأنه يُحب العبد الصابر،و هذا هو مشهد أخر يجعل العبد يصبر على قضاء الله ألا وهو

(حب الله للعبد الصابر)

فلا يجزع ولا يهلع ولكن يرضى بقضاء الله كما قدر لأنه هو العليم الحكيم ولا يشعر أنه هو وحده المُبتلى بل إن غيره قد يكون بلائه أصعب وأشد منه... الصبر إذا أُطلق فإنه يحمل معنى الرضا.

٣-الابتلاء دليل محبة الخالق والصبر دليل محبة المخلوق:

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

"إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمُ اللهُ،فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ" مسند أحمد (٢٣٦٢٣)

وهذا معناه:

أن الابتلاء هو دليل المحبة،ابد أن نفهم هذا المعنى حتى لا نتعثرفي الطريق

فأي ابتلاء (اكتئاب _ زوج غير صالح_ تأخير في الزواج _ضيق في الرزق_ظلم) أيًا كانت صورة الابتلاء الذي يقع على العبد فليعلم أنه دليل محبة الله سبحانه وتعالى،في حين أن أصحاب المعاصي يبغضهم الله وساخط على أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم ولا يُحبهم وبالرغم من ذلك نراهم يعيشون بدون ابتلاءات.

السُنن الكونية تسير وفق إرادة الحكيم:

قال تعالى: { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) } [الأنعام]

يقول الحق فلما نسوا:المفترض أن تكون نتيجة النسيان هي أغلقنا عليهم أبواب كل شيء،أي أنهم عندما عصوا الله منع عنهم الخير.

السُنن الكونية لا تسير هكذا بل أن سُنن الله في العاصي عندما يظلم هي زيادة النعم،فإذا زاد في ظلمه أعطاه المال ،فإذا افترى أعطاه الولد والصحة وهكذا معاصي تُقابل بنعم وما هذا إلا فتنة وابتلاء له ولمن حوله ،هذه هي حكمة الله في كونه وعلينا أن نعود إلى القرآن حتى لا يكون في القلوب شك في حكمة الحكيم أو أنه ظلم أحد.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

رواه الترمذي (٢٣٩٦) وحسنه،وصححه الألباني في"صحيح الترمذي "

٤ – أن هذا البلاء مُقدر في أم الكتاب.

(شهود القدر السابق به وأنه مقدر في أم الكتاب)

فيصبر العبد على البلاء إذا علم أنه قُدر عليه في أم الكتاب (اللوح المحفوظ) منذ خمسين ألف سنة قبل أن تُخلق السماوات والأرض، إذًن الحزن والشكوى والاعتراض على أقدار الله يؤدي إلى بُعد العبد عن ربه وهو في قرب ،لأن المُبتلى يكون في قُرب من الله بصبره على بلائه فإذا ما تسخط واشتكى بدأ في البُعد عن الله وسيظل الابتلاء لأنه مُقدر،ولكن علينا بالدعاء وعدم الشكوى.

(لأن من أنزل همه بالناس زاد ومن أنزل همه بالله زال)

الشكوى تُزيد الهم لأن الشكوى تكون لعبد ضعيف لا يملك أي شيء (نفع _ضر _موت _حياة _ مسكين)هو نفسه يحتاج إلى المساعدة فإذا ما أنزل العبد همه بغيره من البشر زاد وكانت هذه عقوبة من الله.

ومن أنزل همه بالله زال:

فبمجرد أن ينزل العبد همه بربه يزول،ولكن كيف يكون إنزال الهم بالله ؟

كما قال يعقوب عليه السلام :

{ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦)}

[يوسف]

فإذا ما واجه العبد أي ابتلاء فعليه أن يسجد لربه ويبكي ويسأله أن يرفع عنه الهم والغم والابتلاء.

٥ – من دواعي الصبر أن لله على العبد حق عند نزول البلوى.

فما هو حق الله على العبد ؟

الواجب عند نزول البلوى هو الصبر، والرضا أعلى لكن يمكن أن نكتفي بالصبر، فماذا إذا لم يُحقق العبد الصبر أو الرضا؟ لما كان البلاء ينزل من عند الله وكان الواجب على العبد هو الرضا، فإن لم يستطع فعليه بالصبر، فإن لم يستطع الصبر فإنه يكون قد خرج من نطاق العبودية،نحن عباد الله وإمائه فإذا ما قدر علينا بلاء فإن لله علينا فيه واجب،هذا الواجب يكون للذي خلق وصور وأعطى وأوى وأكرم فأقل تقدير أن نُقابل كل هذا العطاء بالصبر عند البلاء والأولى الرضا والأعلى من ذلك الشكر ، فأقل من الصبر يكون الخروج من العبودية فلا يكون عبدٌ لله لأنه لم يُؤدي حق الله عز وجل فلم يرضى بل صدر عنه التشكِّي و السخط.

٦-العبد يصبر على البلاء إذا علم أنه قُدر عليه لذنبٍ اقترفه.

من الأسباب أيضًا التي تجعل العبد يرضى بالمصيبة أن يعلم أنها ما قُدرت عليه إلا بذنبٍ أصابه ،لابد من تفهُم ذلك ،فمن المستحيل أن يُصيب العبد ابتلاء إلا بسبب ذنب قد سبق أن اقترفه وسواء استشعر العبد أنه أذنب أم لا،وقد سبق أن قلنا أننا قد نرى ذنوبنا وقد لا نراها (فكلما ازداد علم العبد كلما ازدادت معرفته بذنوبه وكلما قل العلم كلما خفيت على المرء ذنوبه)ولذلك عندما يجري حديث مع شخص عادي ليس لديه أدنى درجة من درجات العلم فإن كلماته تنطوي على عدم رؤية لأي خطأ يرتكبه بل بالعكس يرى أن ذنبه الوحيد هو الربا فلو تركه لكان أفضل الناس،وغيره لو ترك الغيبة لكان أفضل ،وهكذا كل واحد لا يملك العلم الذي يُبصِّره بحقيقة ذنبه فيُقدِّر لنفسه تقديرات باطلة،لأنه لو تعلم ووصل إلى أوامر الله ونواهيه ودرس أمراض القلوب وعلم ماذا تعني لتحسر على ما فاته.

هؤلاء الذين لا يرون لأنفسهم ذنوبًا عند نزول الابتلاء عليهم يقولون : ماذا فعلنا حتى نُبتلى ؟

عدم رؤية هؤلاء لذنوبهم في حد ذاته يُعد كارثة وطامة كُبرى،وعند نزول البلاء بأحدهم يسخط على أقدار الله ولا يستطيع أن يرضى لماذا؟

لأنه يشعُر أنه مظلوم ولا يستحق أن يحدُث له هذا، فهو يصلي ،ولا يؤذي أحد وقلبه طيب.

قال تعالى:

{ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)} [آل عمران]

قال تعالى:

{ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)}

[الشورى]

إذًا فأيَّة مصيبة تقع بالعباد تكون نتيجة لما قدمت أيديهم ولما اقترفوا من آثام وليست ظُلمًا لهم ،هذا بنص القرآن كلام الله.

عند نزول البلاء لابد أن يُقابل بالاستغفار لماذا ؟

لأنها تكون نتيجة اقتراف الذنوب

قال علي رضي الله عنه "ما نزل بلاء إلا بذنب وما رُفع إلا بتوبة "

إذًا فإن الابتلاء ينزل بالذنوب ويرفع بالتوبة والاستغفار والعودة والأوبة إلى الله عز وجل حتى يرفع عن العبد هذا البلاء ،أما التسخط والجزع والتشكِّي والتفوه بألفاظ لا تليق برب العالمين فلا يجوز لأن البلاء ما نزل إلا نتيجة ذنب اقترفه العبد وعليه أن يتحمل نتيجة ما قدمت يداه ؟

٧- العلم بأن الله هو الذي ارتضى هذا البلاء للعبد يجعله يصبر.

من الأسباب التي تجعل البعد يرضى بقدر الله فيه هو (أن الله هو الذي ارتضاه له) أي أن :الله سبحانه وتعالى هو الذي أراد للعبد هذا البلاء واختاره له فهو اختيار الملك وقَسَمَه له، ورضي الله أن يكون ابتلاء هذا العبد في هذه الجزئية وعبد آخر في جزئية أخرى وهكذا فعليه أن يرضى لأن العبودية تقتضي من العبد أن يرضى لأن سيده ومولاه والذي خلقه هو الذي قدر عليه هذا فإذا لم يرضى نزل من مقام الرضا إلى مقام الصبر فإذا لم يصبر نزل من مقام الصبر إلى مقام الظلم وسيتعدى الحق.

٨- النظر إلى حكمة الله وعلمه أن المصيبة دواء للعبد.

عَنْ عَبْدِ اللهِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ:

"مَا أَنْزَلَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ،وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ"مسند أحمد (٣٩٢٢)سنن ابن ماجة(٣٤٣٨)صحيح ابن حبان (٤٨٦)

قاله النبيﷺفيما يخص الأمراض البدنية ولكن الأمراض القلبية أيضًا لها دواء ...من ضمن الدواء الذي يكون فيه علاج القلب :هي المصيبة التي نزلت الآن بالعبد فإذا لم يرضى بها ورفضها فسيكون هناك إشكالية،لأن الكون كله لا يعرف دواء العبد ولكن ربه هو وحده الذي يعلم في أي شيء يكون دواءه.

فهو الخالق قال تعالى:

{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)}[الملك]

الخالق وحده الذي يعلم ما يُفسد عبده وما يُصلحه فهو يعلم أن دواء العبد هو هذا البلاء وفي هذا الوقت ،وغير هذا البلاء لن يكون فيه العلاج ،هذه المصيبة التي نزلت بالعبد لذنب قد اقترفه قبل ذلك لم تكُن لتُرفع و يُمحى الذنب أو يُعالج العبد منه إلا بهذه المصيبة ،لكن كراهية الدواء ومرارته تجعل الإنسان يتعجل فيرفضه وبالتالي يقع في المصائب ولذلك فإن الله عز وجل يقول :

{ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) }[البقرة]

قال تعالى: { فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)}

[النساء]

فيمكن أن يكره العبد ما هو فيه ولكن الله عز وجل جعل في ذلك الوضع الخير الكثير ولكنه لا يدرك حقيقة الأمر.

عقيدة أهل السنة والجماعة:

إن الله عز وجل قد يُحب العبد من وجه ويبغضه من وجه أخر.

الابتلاء تأديبٌ للعبد حتى يظل قائمًا بحق العبودية:

فيمكن أن يبغض العبد من كل وجه ويمكن أن يُحبه من كل وجه ويمكن أن يبغض من وجه ويُحب من وجه هذا كله يمكن أن يحدُث حسب إيمان العبد أو معصيته.

فعندما يسير الإنسان في طريق الطاعة ويخطو خطوات ولكنه مازال في بداية الطريق يحدُث له شيء من العُجب فيستشعر أنه تفوق على الآخرين، نعم يُحب الحق تبارك وتعالى العبد الطائع رجلٌ كان أو امرأة،لأنه يكون لديه أشياء جميلة جدًا يُحبها الله سبحانه وارتضاها له وقربه بها إليه وفي نفس الوقت لديه أشياء يبغضها الله منها

(الكبر_ العُجب _الاستعلاء _رؤية النفس)

فأراد رب العالمين أن يدفع عن عبده هذا الشر الذي قد يقضي على طاعته وعبادته فماذا يفعل مع عبده ؟

يبتليه بابتلاء أو يُخلي بينه وبين معصيته فيقع في الذنب فهل هذا يعني أنه أجبر عبده على المعصية ؟

لا... ولن يكون ولكن (فرق بين أن يرفع الله حفظه عن عبده فيقع في المعصية وبين إجباره على اقتراف المعصية)،فإذا ما وقع العبد في ذنب خاصةً بعد أن يكون سار خطوات على الطريق فإنه يحدث له نوع من الندم الشديد و الألم النفسي الرهيب لشعوره أنه كان في كنف الله و رحمته عز وجل ثم خرج من هذه الجنة الروحية التي كان فيها فينكسر أمام نفسه ويشعر أنه لا يُساوي شيء،ولولا فضل الله ورحمته ما زكاه ولا زكى غيره وكان عليه أن يشكر النعم بالمزيد من الطاعة لا أن يتكبر،فينزل هذا الابتلاء تأديب للعبد حتى يكون دائمًا في حالة من الانكسار والذل ويُحقق العبودية بالحب والذل لا بالكبر والعجب لأنهما أمراض قلوب يبغضها الله.

قد يقع العبد في عقاب ولكن من نوع آخر :

البعض ممن قطع باعًا في الدين وسار خطوات ليست بالقليلة يجد عند القيام لذة في مُناجاة لله عز وجل (أثناء صلاته بخشوع _ استحضار

القلب عند تلاوة القرآن)ثم تضيع هذه اللذة وتكون الطاعة مجرد أداء للعمل وليس حبًا في إقامته واستحضارًا لعظمة الله في أدائه،ولكن لماذا ضاعت ؟

لأن العبد إذا أذنب ولم يستغفر ويتوب ويعود فإن النتيجة هي ضياع لذة الطاعة لأن هذه اللذة هي التي تدفع العبد إلى الاستمرار على الطريق،وقد يستمر ولكن لا توجد ثمرة للعمل،ولذلك نرى بعض من يسيرون على الطريق يتراجعون بعد خطوات نظرًا لعدم وجود هذه اللذة في الدين (لم يتذوقوا حلاوة الإيمان) التي أشار إليها النبي ﷺ؟

في الحديث عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ: "ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا"

أخرجه مسلم (٣٤)

إذًا فبنص حديث رسول الله؟

نجد أن للإيمان لذة ، ومن المستحيل أن تحدث هذه اللذة مع المعاصي لكنها تحدث مع دوام الطاعة أو يكون الغالب على حاله هو الطاعة ،فإذا عاد من الذنب فتاب وندم واستغفر فإن الله يصطفيه و ويُكرمه ويُلْبِسَه ثوب المقربين ويجعل حزب الله وأحباب الله خدمًا له وأعوانًا على أداء ما هو فيه من طاعة وهذا نلاحظه مع علماؤنا الأجلَّاء وسعي طلاب العلم (الذين

قطعوا خطوات على الطريق) في خدمتهم والتقرب منهم وتمنى الواحد منهم أن يُكلفه الشيخ أو العالم بأداء خدمة له.

عندما ابتلي الإمام أحمد بالمحنة (فتنة خلق القرآن).

واشتد عليه العذاب فجلدوه ونالوا منه فصبر على هذا الابتلاء ويروي ابنه صالح : أن الخليفة المعتصم بعد أن أمر بجلده جعل يقول:

"ويحك يا أحمد أجبني إلى شيءٍ لك فيه أدنى فرج حتى أُطلق عنك بيدي"

فقال الإمام أحمد وهو على هذه الحال:

(مخلوع الثياب _يُجلد جلد مبرح_ضرب _حبس_أمير ظالم لا يرحم):

"يا أمير المؤمنين أخطرني بشيء من كتاب الله عز وجل أو من سنة نبيه حتى أقول به؟!

فلم يجد الخليفة أي رد فتنحى وترك الطريق للجلادين كي يواصلوا جلده بينما يقول الإمام أحمد لجلاده "شُد قطع الله يدك" فظل الجلاد يجلده حتى أُغشي عليه ووقع على الأرض فداسوه بالأقدام ، فقال الأمام : ما شعرت بشيء، كل هذا يحدُث وهو صائم .

فأين الإمام أحمد الآن وما هي منزلته وأين جلاديه وما منزلتهم ؟

الإمام أصبح مذهب ومنزله واتباع وسنة الإمام أحمد وعلماء يستقون من علمه فضلًا عن الملايين من طُلاب العلم الذين يتعلمون من كتبه إلى أن تقوم الساعة، كان الصبر ساعة وكان الجزاء عظيم لا يعلمه إلا رب العالمين.

هذا هو حال الصابرين إذا ابتلاهم الله سبحانه وتعالى بالمصائب فتقبلوها بصدر مُنشرح وتعاملوا معها على أنها نزلت من عند الحكيم العليم وأنها قُدرت عليهم ، هنا تتنزل عليهم السكينة والرضا وزيادة درجة الإيمان وعطاء ما بعده عطاء فيأتي بعد العُسر والضيق والألم اليسر والفتوحات والكرم من الله...وليس شرطًا أن تكون الرحمات فيما يخص موضوع الابتلاء بل قد تكون في جوانب أُخرى.

أما مَنْ يُبتلى فينتكس و ينكص على عقبيه ويرفض قضاء الله عز وجل فإن المصيبة لن تُرفع بل سيتضاعف ألمها لأنه سخط على أقدار الله.

ملحوظة: دائمًا ما نجد أن المُخالف والمبتدع وصاحب الهوى عندما يُواجه بالحجة والبراهن لا يجد شيء يرد به سوى رفع الصوت (هذا هو ما فعله المعتصم مع الإمام)

* لماذا قدر الله المصائب على العباد ؟

حتى يرى عبد السرَّاء من عبد الضرَّاء...فهل سيكون العبد عبدًا في السرَّاء فقط ولا يكون عبدًا في الضرَّاء أيضًا ؟

وهل يجوز لنا أن لا نرضى عن الله سبحانه وتعالى ولا نُطيعه إلا في حال العطاء واليُسر؟وعند الابتلاء نسخط على قدر الله ؟

 مَنْ يفعل ذلك هو بئس العبد فهو غير محبوب عند الله،ولكن يحب الله عز وجل أن نكون عبادًا له على جميع الأحوال وفي جميع الأوقات فلا تنفك العبودية عن العباد أبدًا لأن الأنفكاك عن العبودية دليل على أن هذه العبودية مدخولة معلولة تحتاج إلى مُعالجة.

فالمحب بصدق لا ينتظر العطاء.

مثال: الأم هل يتوقف عطائها على رؤية المُقابل من أبنائها،كم من ابنٍ أو ابنة يعُقون أمهاتهم ومع ذلك لا يتوقف عطائهن للأبناء وذلك يرجع إلى صدق المحبة الذي جعل البذل يستمر بدون مقابل.

فأين أنت يا من تدعي محبة الله عز وجل ؟

أليس من المفروض أننا نُحب الله في كل الأوقات ،فإذا أعطانا فإننا نحبه وإذا ابتُلينا فإننا نحبه فلا ننتظر العطاء ولا المنع حتى نُحبه ، فسبحانه له

الأسماء الحسنى والصفات العُلى فهو المُستحق أن يُحب ، كيف نعرف الله ولا نحبه ؟

هذ خلل لأن حقه سبحانه على العباد أن يُحبوه كمال الحب مع كمال الذل حتى تتحقق العبودية ، فالعبد عبد في السرَّاء وعبد في الضرَّاء،إن أُعطي رضي وإن مُنع رضي ،ففي كل الأحوال هو راضي لايسخط على ربه أبدًا.

قُدرت الابتلاءات على العباد(للتمحيص _الغربلة _بيان حق العبودية _ للعلاج من أمراض القلوب _لاستمرار الاستقامة على الطريق _لتيسير الأمور) كل هذه جوائز ينالها العبد بالصبر على القدر الكوني وما فيه من ابتلاءات.

إيمان العبد يظهر حال الابتلاء والعافية:

فمن أراد أن يعرف درجة إيمانه فلينظر إلى نفسه عند نزول الابتلاء، فكيف يكون الحال مع الله ؟ كيف يكون تقبُل الابتلاء ؟

هنا تظهر درجة إيمان العبد الطائع من عبد النعمة فقط(عبد السرَّاء)...فعبد السرَّاء والضرَّاء هو العبد الحق المحب لله المداوم على طاعة الله في كل الأحوال.

نبذ الحزن هو النتيجة المباشرة للعلم بأن الابتلاء مقدر من الله.

إذا علمنا أن الابتلاء مقدر من الله وأنه بقدره الكوني فستكون النتيجة المباشرة لذلك هي: نبذ الحزن فلا يحزن العبد،لأن الحزن يعني :(انخلاع السرور من القلب وملازمة الكآبة للعبد).

فالعبد الحزين لم يُحقق منزلة الإيمان بالقدر.

ولذلك قيل : إن الإنسان الذي يدوم حزنه هو من عوام المسلمين وليس من الخواص

مثال: في الصعيد عندما تفقد الأم ولدها تظل سجينه لحزنها عمرها كله فلا ينفك الحزن عنها لماذا؟

لأنها لم تفهم أي شيء (لم ترى مشهد القدر_لم ترى فوائد الصبر والرضا بالابتلاء إذا نزل) هؤلاء استحوذ الشيطان على قلوبهم وأنساهم فضل الله ونعمه فلم يشكروه عليها.

أما الإنسان الذي أدرك الحكمة ورأى المعاني المقصودة من وراء الابتلاء فنظر بعين البصيرة إلى قدر الله فصبر ثم رضي بما قُدر له فإنه لا يحزن وإذا حصل له شيء من الحزن فإنه يكون حجاب بينه وبين معرفة الله سبحانه وتعالى.

فمن كان مع فلا ينبغي له أن يحزن.

قال تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)}[التوبة]

من كان مع الله ماذا فقد ؟

لا شيء ...

ومن فقد الله ماذا كسب ؟

لا شيء. . .

من كان مع الله فإنه يُؤيده ويُسدده ويُعطيه ويُوفقه ويُعليه ويُرشده وبالتالي فإنه لا يفقد أي شيء ،الدنيا لا تساوي شيء،وليس معنى الكلام: أن لا أحزن بالكلية لأن هذا يُنافي الطبيعة البشرية ولكن الحزن المعقول الذي لا يُغضب الله فلا يدوم ولكنه ينطلق بعد مدة بسيطة في دين الله.

والحزن لا ينبغي إلا على طاعة مفقودة أو معصية ذلت القدم فيها،أو على تقصير أو تفريط في حق من حقوق الله وحتى هذا الحزن لا يُفيد العبد لأنه قد يكون مدخل للشيطان يُدخِل به الحزن على قلب العبد.

مثال: عندما يكون العبد متلبس بالمعاصي ثم يتوب ولكنه يظل في محاسبة لنفسه دائمًا و يظن أن الله لم يقبل توبته.

أقول : تذكر الجفاء في وقت الصفاء مع الله يكون جفاء.

وهذا يعني : أنت أيه العبد عصيت ثم تُبت وعدت وندمت ووصلت إلى درجة الصفاء مع الله وسرت في طريق الاستقامة فهل تعتقد أن الشيطان سيتركك ؟

لا .. بل سيذكرك بما كنت عليه حتى يُدخل الحزن على قلبك.

قال تعالى:

{ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) }

[المجادلة]

هذا هو عمل الشيطان: إدخال الحُزن على القلوب...وإذا كان العبد تاب وعاد فما الداعي إلى تذكر المعصية دائمًا.

ولذلك فإنه لا يوجد في القرآن كله ولا السُنة الشريفة نص على أن الحزن محمود بل أن النبي ﷺ،كان يقول : "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ،

وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ، وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ"

أخرجه البخاري(٦٣٦٣)أخرجه مسلم(١٧٨٦)

الحزن ليس مطلوب كما أنه ليس مُستحب ولكنه مدخل شيطان ليُحزن المؤمنين ومع الضغط النفسي المستمر فإنه يؤدي إلى الانفكاك من الطاعة

لماذا؟

لأن شياطين الإنس المُحيطين بالعبد يصورون له أن هذا الحزن نتيجة الالتزام والسير في طريق الطاعة ، إذًا الحزن من كل وجه مذموم وعلى العبد أن يستعيذ بالله من الشيطان عندما يشعر بالحزن لأن هذا مدخل شيطان يُثبط العبد فيتثاقل عن الطاعة ،فإذا ما شعر العبد بشيء من الضغط النفسي فعليه أن يأخذ قسط من المباح حتى تنفرج حالة الضغط التي تُسيطر عليه لأن (النفس إذا كلت ملت) ثم بعد ذلك يعود إلى الطاعة وإلى مناجات ربه (بالقرآن _ القيام _إنشاء طاعة جديدة _صيام) وهنا ستستريح النفس ويهدأ القلب وينشرح الصدر ويذهب الهم والغم.

لا يجتمع الحزن مع معية الله عز وجل.

ولكنه مصيبة يتعطل بها العبد عن دينه ،فإن كان الحزن على معصية فلن يتقدم العبد ، وإن كان العبد في طاعة فإن الحزن يكون حجاب يحول بينه وبين الانطلاق في الدين لأن الأداء يكون ضعيف جدًا.

الحزن على فقد الطاعة جميل وعلامة إيمان ولكن لا يستمر لأن الحزن يُميت أكثر من المرض العضوي إذا أصاب العبد ،لابد أن نؤمن أن كل شيء بقدر وأنه كُتِبَ على العباد منذ خمسين ألف سنة قبل خلق السماوات والأرض حتى نرضى بما قدر الله عز وجل فإذا أمنَّا بهذه المعاني وأدركناها فإن القلب ستحدث له الطمأنينة والهداية وتتنزل السكينة علينا من حيث لا نحتسب.

قال تعالى:

{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١)} [التغابن]

أسأل الله سبحانه أن ينزل السكينة علينا ويُرضِّينا بقضائه لأن أفضل شيء هو الرضا بالقضاء الإلهي وأعظم حال للعبد أن يكون في سكينة وفي معية الله.